

الخلاصة

مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن كلية الآداب في الجامعة المستنصرية
AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL



ISSN:1136-1992

الترقيم الدولي

DOI: 10.35284

المعرف الدولي



- مكانة الفلسفة في الجامعة.
- الصور الروحانية بين العقلي والمجسد: دراسة في فلسفة ابن رشد.
- الدين التفاولي في ضوء برامجاتية وليم جيمس.
- اثر فينومينولوجيا الوجود عند مارتن هيدجر على المنظر المعماري نوربرغ شولز.
- نقد لوكاشيفتش لنظرية القياس في ضوء نصوص المنطقة المسلمين في القرون الوسطى.
- خطاب التحليل اللغوي في فلسفة الوضعية المنطقية المعاصرة.
- التأويل في فكر نصر حامد أبو زيد
- الزمان بين اوغسطين وتوما الاكويني -دراسة مقارنة-
- حضارة العرب في فكر غوستاف لوبان

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية يصدرها قسم الفلسفة

المجلة حاصلة على المعرف الدولي Doi
تحت رقم prefix :10.35284

هيئة التحرير

-رئيس التحرير ا.د.حسون عليوي فندي السراي
الجامعة المستنصرية-كلية الآداب-قسم الفلسفة
-مدير التحرير أ.م.د.حيدر ناظم محمد
الجامعة المستنصرية-كلية الآداب-قسم الفلسفة.

اعضاء هيئة التحرير

- ١.١.د.يمنى طريف الخولي – كلية الآداب – جامعة القاهرة- مصر.
- ١.٢.د. عفيف حيدر عثمان - الجامعة اللبنانية – لبنان .
- 3-Professor:Juan Rivera Palomino- San Marcos – Peru
- ١.٤.د. مصطفى النشار – كلية الآداب – جامعة القاهرة – مصر.
- ٥.د. احسان علي شريعتي –كلية الاديان – جامعة طهران – ايران
- ٦-أ.د.رحيم محمد سالم الساعدي - كلية الآداب -الجامعة المستنصرية
- ٧.د. صلاح فليفل عايد الجابري – كلية الآداب – جامعة بغداد – العراق
- ٨.د.عامر عبد زيد الوائلي – كلية الآداب – جامعة الكوفة – العراق
- ٩.م.د. محمد حسين النجم - كلية الآداب – الجامعة المستنصرية – العراق

البريد الالكتروني

art.phi_magazine@uomustansiriyah.edu.iq



العدد الخامس والعشرون

حزيران

٢٠٢٢/٦

سكرتير التحرير

م.د. أسماء جعفر فرج
كلية الآداب -المستنصرية

الاشراف اللغوي

م.د.منار صاحب
كلية الآداب/المستنصرية

اخراج وتنضيد

م.م.أنثى محمد مجيد

مسؤول الموقع الالكتروني

المهندسة
ريهام ماجد عبد الكريم

الترقيم الدولي:Issn:(١١٣٦-١٩٩٢)

فهرست بدار الكتب والوثائق وإيداعها تحت رقم (٧٤٢) لسنة (٢٠٠٢)

نصميم وطباعة
مكتب الأثير
للنشر والطباعة

الفلسفة

مجلة علمية محكمة يصدرها قسم الفلسفة

المحتويات

كلمة العدد	رئيس التحرير	
مكاتبة الفلسفة في الجامعة	أ.م.د. سنا صباح علي	٢٢-١
الصور الروحانية بين العقلي والمجسد: دراسة في فلسفة ابن رشد	أ.م.د. سامي محمود إبراهيم	٤٤-٢٣
الدين التفاولي في ضوء برجماتية وليم جيمس	م.د. بشير جاسم محمد	٧٠-٤٥
اثر فينومينولوجيا الوجود عند مارتن هيدجر على المنظر المعماري نوربرغ شولز	م.م. غصون عبد محمد أ.د. احمد الشيال	١٠٨-٧١
نقد لوكاشيفتش لنظرية القياس في ضوء نصوص المنطقة المسلمين في القرون الوسطى	أ.م.د. طالب حسين كطافة	١٣٢-١٠٩
خطاب التحليل اللغوي في فلسفة الوضعية المنطقية المعاصرة	م.د. عدي غازي فالح	١٦٤-١٣٣
التأويل في فكر نصر حامد أبو زيد	أ.م.د. ولاء مهدي الجبوري	١٨٠-١٦٥
الزمان بين اوغسطين وتوما الاكويني دراسة مقارنة	م.د. رعد كاظم نعمة	١٩٦-١٨١
حضارة العرب في فكر غستاف لوبون	عباس سلمان عيسى أ.م.د. ليث اثير يوسف	٢١٨-١٩٧



العدد
الخامس والعشرون
حزيران
٢٠٢٢/٦

عنوان المراسلة
العراق- بغداد- الجامعة المستنصرية
كلية الاداب/ قسم الفلسفة
ص.ب: ١٤٠٢٢
تلفون: ٤١٦٨١١٩٨

art.phi_magazine@
uomustansiriyah.edu.iq

حضارة العرب في فكر غوستاف لوبون

عباس سلمان عيسى

أ.م.د. ليث اثير يوسف^١

الملخص

انموضوع الحضارة وفلسفتها في فكر غوستاف لوبون من الموضوعات المهمة التي لها مساس كبير بحياة الانسان ولا معنى لدراسة الحضارة بعيد عن المصدر الاساسي فمفهوم الحضارة لديه قد يختلف مع البعض وقد يتوافق مع البعض الاخر فالحضارة عند لوبون لا تقابل البداوة او الوحشية بل هي مرحلة متطورة من مراحل تطور الانسان، فان لوبون يبين ان ليس هناك بلد وشعب متحضر وبلد وشعب غير متحضر بل لكل بلد وشعب حيز من الحضارة.

تأثر لوبون بالحضارة العربية تأثراً كبيراً دفعه الى القول «وبالعرب بدأت وسبب ذلك ان حضارتهم من الحضارات التي اطلعت عليها في رحلاتي الكثيرة احسن مما اطلعت على غيرها من الحضارات» حيث نجد ان دراسة لوبون للحضارة العربية دراسة منصفة لا ينتابها اي غبار ويرى لوبونان تأثير العرب بالغرب تأثير عظيم، وان اوربا مدينة للعرب بحضارتها ولم يكتف لوبون بمدح الحضارة العربية فحسب بل دافع عنها ضد منتقديها حيث رد على انتقادات ارنست رينان للعرب في كتابه «حضارة العرب».

تأثر لوبون بشخصية النبي محمد (صلى) حيث قال عن النبي في كتابه حضارة العرب «واذا ما قيسست قيمة الرجال بجليل اعمالها كان محمد من اعظم من عرفه التاريخ» وهذا النص هو دليل على اثر النبي محمد ليس بلوبون فقط بل بالكثير من الفلاسفة والعلماء لما يحمله النبي من فكر فلسفي فلوبون لا ينظر الى النبي (صلى) على انه صاحب عقيدة دينية فحسب بل ينظر اليه على انه مفكر غير بالعالم وحول العالم من مرحله الى مرحله متطورة ومتقدمة علمياً ودينياً.

ان هذا المفكر الذي انصف الحضارة العربية وبين فضلها وتأثيرها وتمدينها لأوروبا لم ينصفه العرب كتب عنهم الكثير وكتبوا عنه القليل ان غوستاف لوبون لم يكتف بأنصاف

الحضارة العربية فحسب بل دافع عنها ضد منتقديها ورد على الكثير من الفلاسفة الذين انتقدوا الحضارة العربية والجميل بالأمر انلوبوناي شيء يتناوله عن الحضارة العربية يعجب به ويبين موقفه منه

الكلمات المفتاحية: ((القرآن/العرب/الحضارة/العرق/محمد ص))

((Arab Civilization in Gustave Le Bon's Thought))

Research submitted by the student

Abbas Salman Issa Rahm

Under the supervision of Assistant Professor Dr

Laith Atheer Youssef

Abstract

As for the subject of civilization and its philosophy in Gustave Le Bon's thought, it is one of the important topics that have a great impact on human life and there is no meaning in studying civilization far from the main source. Developed from the stages of human development, Le Bon shows that there is no civilized country and people, and uncivilized country and people, but every country and people has a space of civilization.

Le Bon was greatly influenced by the Arab civilization, which led him to say, "With the Arabs, I began, and the reason for this is that their civilization is one of the civilizations that I have seen in my many travels, better than I have seen other civilizations." The influence of the Arabs on the West is great, and that Europe owes its civilization to the Arabs. Le Bon not only praised the Arab civilization, but defended it against its critics, as he responded to Ernest Renan's criticisms of the Arabs in his book "The Civilization of the Arabs."

One of the important aspects of Le Bon's philosophy of civilization is the ethnic aspect, its importance and emphasis on it, as he defined it in his book "The Civilization of the Arabs" as "indicating groups with common morals that move

in an orderly transition.” An influence of the mind in her, a march in the morals of her race.” Le Bon divides the veins into two parts: pure races, which are free from mixing and are pure for Le Bon, and historical races, which arose through immigration, conquest and mixing from Le Bon.

As for the circle of the unconscious according to Le Bon, it is a kind of psychological activity, psychological activity, which Le Bon defines as “the condensed spirit of the ancestors.” Gustave Le Bon was a predecessor to Freud in employing the term unconscious to understand the nature of the psychological public, and that the unconscious in Le Bon is closely related to race, so the unconscious is the basis The inheritance of the individual is from the race to which he belongs. Ethnicity is the basement reservoir from which the collective spirit of the masses emanates.

Keywords: ((Quran/ Arabs/ Civilization/ Ethnicity/ Muhammad))

المقدمة

تكتسب الحضارة قيمتها باعتبارها الهدف الاسمي في تطور المجتمعات وهي ايضاً تختلف باختلاف الزمان والمكان حيث نجد ان موضوع الحضارة وفلسفتها في فكر غوستاف لوبون من الموضوعات المهمة التي لها مساس كبير بحياة الانسان ولا معنى لدراسة الحضارة بعيداً عن المصدر الاساس لقيام الحضارات.

ان لغوستاف لوبون اثر عميق في هذا المجال حيث نجد ان لوبون وبحثه في فلسفة الحضارة يتناول الحضارة من زاوية اساسية وهي زاوية تخصصه النفسي والانثروبولوجي بالإضافة الى جميع الاختصاصات التي تناولها فلم يختص بمجال واحد ففي بحثه في الحضارات لم يتناول الجانب الحضاري فقط بل تناول جميع المجالات والعلوم في الحضارات التي بحث فيها من الامور الرئيسية التي تناولها لوبون في بحثه في الحضارات هي اسباب نجاح الحضارات واسباب انحطاطهم حيث ركز لوبون على عوامل نجاح الحضارات وخصوصاً في كتابه «السنن النفسية وحضارة العرب» واسباب انحطاطهم معتمداً على منهج علمي متحرر من كل ميل وفكر ومعتقد.

اما مفهوم الحضارة عنده فهو قد يختلف مع البعض وقد يتوافق مع الاخر فان الحضارة لديه هي لا تقابل البداوة او الوحشية بل هي مرحلة متطورة من مراحل تطور

الانسان فان لوبون يبين ان ليس هناك بلد متحضر وليس لديه شعب متحضر وشعب غير متحضر بل ان لكل بلد او شعب حيز من الحضارة.

ومن الجوانب المهمة في فلسفة الحضارة عند لوبون هو الجانب العرقي واهميته والتأكيد عليه حيث عرفه في كتابه «حضارة العرب» «بأنه يدل على جماعات ذات اخلاق مشتركة تنتقل انتقالاً منظماً» ويذكر ايضاً في كتابه «السنن النفسية لتطور الامم» «والامم وهي لا كبير تأثير للعقل فيها، مسيرة بأخلاق عرقها» ويقسم لوبون العروق الى قسمين العروق الخالصة والتي تكون خالية من الاختلاط وهي نقية لدى لوبون والعروق التاريخية وهي التي نشأت عن طريق الهجرة والفتوح والاختلاط عن لوبون.

كان من اسباب كتابة لوبون عن الحضارات وخصوصاً حضارة العرب وبقيّة الحضارات هو اندهاشهبالحضارة العربية وبدأ بها حيث يقول «وبالعرب بدأت، وسبب ذلك ان حضارتهم، ان حضارتهم من الحضارات التي أطلعت عليها في رحلاتي الكثيرة أحسن مما أطلعت على غيرها من الحضارات التي كمل دورها».

ان من اسباب عظمة العرب عوامل عدة مهمة وهي عامل الزمن الذي ظهر فيه العرب حيث جعل لوبون عامل الزمن عاملاً مساعداً على أنشاء دوله جديده وعامل العرقفعرق العرب ثابت بثبات صفاته التشريحية ومن صفات أمة العرب الذكاء، واستعدادهم الفني والفكري والأدبي والاخلاقي وذكائهم والعامل الديني فيضعه لوبون على رأسها لما له من أهميه كبيره وبفضله توحدت جميع القبائل العربية والعوامل الأخرى منها الصفات الحربية التي تتصف بها العرب حيث ان العرب قبل ظهور الاسلام يمتازون بالصفات الحربية ولكن بظهور الاسلام أضاف الى تلك الصفات صفات اخرى لكي تكون هناك تظافر بالصفات.

ان سر نجاح الحضارة العربية انها تملك كل مقومات النجاح والتحضر كل المقومات البحث عن الحقيقة وان كان الدين العنصر الاساسي فيها ولكن حتى الدين ينظر اليه كذلك من منظور عقلي ويبرهنون عليه برهاناً عقلياً بالإضافة الى لجانب العاطفي والاخلاقي (ونجد في فلسفة الكندي ومن خلال رسائله انهقد اتبع اسلوب المناقشة والمنطق، في عرضها فنراه يرتب المسألة التي يبحثها في مقدمات ثم يستنبط منها نتائج بعضها كاذبه وبعضها صادقه وينتهي الى بيانلما صارت الكاذبة غير صادقه والصادقة غير كاذبة وذلك حتى يقنع من يطالع فلسفه، بطريقه عقليه خاليه من التقليد، مثال ذلك عندما يتكلم عن (وحدانية الله)يقول (ان كان الواحد عدداً ولا شيء اقل من الواحد، فالواحد هو الاقل

المرسل)) ثم يردف ذلك بقوله ((وهذا ظن ليس بصادق لأنه ان كان الواحد عدداً فهو كميّه ما، وان كان الواحد كمية فخاصية الكمية تلحقه وتلزمه، والواحد لا ينقسم، فهو اذن ليس عدداً ولا كميّهولا تذهبن من قولنا: واحد الى الموحد بالواحد، بل الى الوحدة عينها، فالواحدة لا تنقسم به)) واضح هنا ان نقاش الكندي عقلاني منظم ينم على قوة فكريه، وبحثه عقلي فلسفي عميق، وتسلسله منطقي مرتب يسلم الى اثبات صحه الافكار التي يعتقد ها)).

ان دراسة لوبون للحضارة العربية دراسة منصفه لا ينتابها اي غبار ويرى لوبونان تأثير العرب بالغرب تأثير عظيم، وان اوربة مدينه للعرب بحضارتها وهنا نستنتج اهم نصوص لوبون في هذا الشأن حيث يقول «ان الأمم التي فاقت العرب تمّداً قليلة الى الغاية، وأننا نذكر أمة، كالعرب، حققت من المبتكرات العظيمة في وقت قصير مثل ما حققوه، وان العرب أقاموا ديناً من اقوى الأديان التي سادت العالم».

المقصد الاول: -نبذة مختصرة عن حياة غوستاف لوبون واهم اعماله

اولاً: -نبذة مختصرة عن حياة غوستاف لوبون

ولد غوستاف لوبون Gustav le bone في مقاطعه نوجان لي رو ترو بمنطقة النور ماندي في فرنسا في (٧ مايو ١٨٤١م) توفي في عام ١٩٣١م في فرنسا في ولاية مارينا وهو من عائله برجوازية صغيره وكان والده يشغل وظيفة محافظ الرهن العقاري درس الثانوية في مدينة تور ثم درس في كلية طب باريس، وفي عام ١٨٦٦م ظهر أول أعماله الرئيسية ((الموت الظاهر والدفن المبكر)) توجه بعدها بسنوات عدة من مجال الطب الى مجال الأنثروبولوجيا وعكف على دراسات علم النفس وتعاون لوبون من عام ١٨٦٢م الى ١٨٦٩ مع العديد من الدوريات حيث تظهر له دراسات حول وفيات الرضع، وادمان الكحول، ودخان التبغ، وعلاج الكوليرا، وعلاج الاختناق وما الى ذلك من هذه الاعمال التي اكسبته الحق في أن ينتخب عضواً في جمعية الطب العالمي أنتخب نائباً للرئيس في عام ١٨٧٩م ورئيساً في عام ١٨٨٠م دون أن يتوقف عن العمل الإرشادي الطبي، وتميز بتنوع مجال أبحاثه، وأنشاء مختبراً في شقته بباريس، وتعلم الكيمياء والفيزياء والبصريات (فايز بن علي الشهري، ٢٠١٩، الصفحات ٢٢-٢٣) حيث وقف نفسه على خدمة العلم وتقرير حقائقه حتى تجاوز عمره الثمانين (غوستاف لوبون، ٢٠٢٠م، صفحة ٣٤٣).

وفي سنة ١٨٨٤م سافر الى الهند مكلفاً من الحكومة بمهمة درس هندسة الآثار البوذية وساح في افكار أخرى منها هذا الشرق الإنساني وعلى الرغم من أن غوستاف

لوبون طبيباً إلا أنه عني بالتاريخ للحضارة الشرقية (عبدالعزیز عبدالمطلب السيد، ٢٠١٤، صفحة ٢٢).

ويعتبر الطبيب الفرنسي غوستاف لوبوناحد اشهر المستشرقين والمؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا الذين اولو اهتماماً بالغاً بدراسة الحضارات الشرقية على وجه العموم والعربية والإسلامية على وجه الخصوص، حيث منحته جولاته التي قام بها في أوروبا وآسيا وشمال افريقيا الفرصة لاكتشاف هذه الحضارات الموهلة في القدم (www.alarab.com، ٢٠١٤م).

ولوبون هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمه العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر على نهج معظم مؤرخي أوروبا حيث اعتقد بوجود فضل للحضارة العربية على العالم الغربي (نهاد عباس زينل، ١٩٧١، صفحة ٤٠٢).

اهتم بعلم الحضارات بشكل عام، وكان من أوائل المؤرخين الأوروبيين الذين اعترفوا بوجود فضل للحضارة الإسلامية على العالم الغربي أهتم بالطب النفسي وخصوصاً السلوك الجماعي، مما مكنه من اصدار العديد من الأبحاث في هذا المجال الى ان كتب كتابه المهم ((سيكولوجية الجماهير)) الذي حقق له سمعة علمية عالية وكان الاسبق فيه ولذا يعد لوبون مؤسس علم نفسية الجماهير انجز ما يفوق ٦٠ كتاباً وبحثاً تناولت اعماله مجالات الطب والحضارة والتاريخ والأثار والمجتمع ولقد امتد حينئذ تأثيره الفكري ايضاً على السياسيين البارزين، مثل موسو لينى وهتلر وتشرشل وروزفلت وديغول وغيرهم (فايز بن علي الشهري، ٢٠١٩، الصفحات ٢٢-٢٣).

ثانياً: اهم اعماله

- 1- الأنسان والجماعات ألف سنة ١٨٧٧م
- 2- حضارة العرب الفه سنة ١٨٨٣-١٨٨٤
- 3- الحضارات الاولى ألفه سنة ١٨٨٨-١٨٨٩
- 4- حضارات الهند ألفه سنة ١٨٨٧
- 5- رحلة الى جبال تتراس
- 6- رحلة الى نبال
- 7- اثار الهند ألفه سنة ١٨٩١
- 8- الثورة الفرنسية وروح الثورات
- 9- النتائج الاولى للحرب

- 10- التعاليم النفسية للحرب الأوروبية
- 11- سر تطور الامم ألفه سنة ١٨٩٤
- 12- روح الجماعات ألفه سنة ١٨٩٥
- 13- روح الاشتراكية ألفه سنة ١٨٩٨
- 14- روح السياسة ألفه سنة ١٩١٠
- 15- روح التربية
- 16- جوامع الكلم العصرية
- 17- امس وغدا
- 18- حياة الحقائق
- 19- دخان التبغ (بحث)(غوستاف لوبون، مقدمة الحضارات الأولى، ٢٠٢٠، الصفحات ٩-١٠)

المقصد الثاني: -أسباب كتابة لوبون عن الحضارة العربية واسباب عظمة حضارة العرب
واثرها في الغرب

أولاً: -اسباب كتابة لوبون عن الحضارات

كان من اسباب كتابته عن الحضارات وبالأخص حضارة العرب وحضارة الهند وحضارة مصر وحضارة بابل واشور حيث سافر لوبون الى الهند مكلفاً من الحكومة بمهمة درس هندسة الآثار البوذية وساح في اقطار اخرى منها الشرق العربي(غوستاف لوبون، مقدمة الحضارات الأولى، ٢٠٢٠، صفحة ٩).

حيث يقول في كتابه حضارة العرب «واننا، بعد ان بحثنا في الانسان وهو منفرد وفي تطور المجتمعات، نرى ان نطبق قواعدنا التي بسطناها هنالك على الحضارات العظيمة اكمالاً لبرنامجنا» وهذا يدل ويثبت من خلال النص ان غوستاف لوبون ارسل ببعثة و مهمة هذه البعثة دراسة الحضارات واثارها وخصائصها وسر قوتها ومقوماتها حيث يقول «وبالعرب بدأت، وسبب ذلك ان حضارتهم من الحضارات التي اطلعت عليها في رحلاتي الكثيرة احسن مما اطلعت على غيرها من الحضارات التي كمل دورها، وتجلى فيها مختلف العوامل التي اوضحنا سرها في ذلك الكتاب وهي من الحضارات التي ترى الاطلاع على تاريخها مفيداً الى الغاية وهو اقل ما عرفه الناس»(غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٢٧).

وكذلك يذكر لوبون «وكلما امعنا في درس حضارة العرب، وكتبهم العلمية، واختراعاتهم، وفنونهم ظهرت ان العرب اصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم

الاقدمين، وان جامعات الغرب لم تعرف لها، مدة خمسة قرون، مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وانهم هم الذين مدنوا أوروبا مادةً وعقلاً واخلاقاً، وان التاريخ لم يعرف امة انتجت ما انتجوه في وقت قصير، وانه لم يفقههم قوم في الابتداع الفني» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٢٨).

ويشير لوبون الى اهمية الاطلاع على الحضارات واهمية الرحلات حيث يقول «وتعلمنا كيف نتحرر من قيود الآراء المتأصلة والتقاليد الموروثة وضلال الماضي وباطله» حيث يذهب لوبون الى ان «ومثل تاريخ الانسان كمثال سرد واسع متماسك الاجزاء تتصل حلقاته الاولى بأقدم الحقب والعصور، وكل حادثة تاريخية نتيجة حادثات اقدم منها، والحال، وهو وليد الماضي، يحمل في اثنائه بذور المستقبل، فيستطيع صاحب الذكاء الثاقب ان يقرأ سير الامور المقبلة من خلال الحوادث الحاضرة» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، الصفحات ٣٤-٣٧).

ثانياً: -أسباب عظمة حضارة العرب من منظور لوبون

قبل الحديث عن اسباب عظمة العرب نتناول نبذة عن مفتاح شخصية لوبون وعندما نتكلم عن شخصيه نجد ان أنه شخصية متحررة يعمل بطريقة علمية بعيد عن أي ميل ديني معين مستقل فكرياً يعمل جاهداً من اجل الوصول الى نتائج حقيقية منطقية عن اي شيء يتناوله ففي كلامه عن الحضارة العربية تكلم لوبون عن اسباب نجاحهم وعظمتهم واندesh بهم وبين ايجابياتهم كذلك تناول اسباب انحطاطهم وسلبياتهم حيث اعجب لوبون بتراثنا وافكارنا، واحب العرب وسماحتهم في فتوحهم ولمس ابداعهم في بناء حضارتهم، التي كانت سبب صحوة أوروبا الحديثة عندما احتكت بها حيث يقول «قد يسأل القارئ لماذا ينكر تأثير العرب علماء الوقت الحاضر، الذين يضعون مبدأ حرية الفكر فوق كل اعتبار ديني كما يلوح؟ لا ارى غير جواب واحد عن هذا السؤال الذي اسأله نفسي ايضاً، وهو ان استقلالنا الفكري لم يكن في غير الظواهر بالحقيقة، وانا لسنا من احرار الفكر في بعض الموضوعات كما نريد» (شوقي أبو خليل، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، صفحة ١٧٧).

ولسبب او لآخر (استقل لوبون فكرياً) وتحرر من اثر النصوص التوراتية، او المؤثرات التوراتية، او التطويع التوراتي الى حد بعيدان مفتاح شخصية الرجل عدم اخذه بدراسات الاستشراق الظالمة مع كرهه لليهود، فتحرر من تأثير دراساتهم وأحكامهم ووجهات نظرهم حول تاريخنا وحضارتنا، فجاءت آراؤه منصفة عادلة بشكل عام، لقد تحرر لوبون فكرياً

من مؤثرات الاستشراق الحاقدة الموجهة، والتي حرصت على ادانة الاسلام واصله (شوقي أبو خليل، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، الصفحات ١٧٨-١٧٩).

جعل لوبون الزمن الذي ظهر فيه العرب -القرن السابع الميلادي من العوامل التمهيدية التي ساعدت على اظهار قوتهم بيد ان القضاء على دولة لا يكفي لإقامة حضارة حيث يرى لوبون «ان الزمن الذي ظهر فيه العرب من العوامل التمهيدية في قوتهم، وان لعامل الزمن التمهيدي اهمية كبيرة في حياة الافراد والامم (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٥١٢) لقد جعل لوبون عامل الزمن عاملاً مساعداً على انشاء دولة جديدة وحضارة جديدة، ولكنه اضاف عوامل اساسية اخرى لإقامتها مثل العرق، والعرق، والنوع عند لوبون، كلمتان مترادفتان صفات العرق الخلقية والعقلية ثابتة ثبات الصفات التشريحية، ومن صفات امة العرب الذكاء وحماستهم واستعدادهم الفني والادبي وما الى ذلك من الصفات التي لو لا وجودها فيهم، ما استطاعوا يصلو الى درجة الحضارة (شوقي أبو خليل، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، صفحة ١٧٥) (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٥٨).

من الصفات المهمة التي تتصف بها الحضارة العربية هي الصفات الحربية حيث نجد ان العرب قبل ظهور الاسلام يمتازون بالصفات الحربية لكن بظهور الاسلام اضاف الى تلك الصفات صفات اخرى لكي يكون هناك تظافر في الصفات ولما جاء الاسلام من الف بين قلوب العرب حيث يقول لوبون «فأننا نذكر صفاتهم الحربية المتأصلة التي يمكن اتخاذها مثلاً بارزاً» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٥١٤).

ولقد وجد لوبون الصفات الحربية هي سر نجاحهم وانتصارهم وهي سر عظمتهم وكذلك هي سر انحطاطهم حيث يرى لوبون «وكانت طبائعهم الحربية من اسباب انتصاراتهم ولما خلا الميدان من اعداء يحاربونهم صوبوا اسلحتهم نحو انفسهم بفعل صفاتهم الحربية المتأصلة، وبدت هذه الصفات، التي كانت سر عظمتهم سبب انحطاطهم».

اما العامل الديني فيصفه لوبون على رأس هذه العوامل لما له من اهمية كبيرة وبفضله توحدت جميع القبائل العربية حسب قول لوبون «ونذكر على راس هذه العوامل التي ندرسها ذلك العامل الذي توحدت بفعله جميع القبائل العربية المنقسمة وهو الدين الذي أنشأه محمد فقد منح هذا الدين ما كانت تحتاج اليهامم من المثل الاعلى المشترك الذي اكتسبوا به من الحمية ما اتعدوا به للتضحية بأنفسهم في سبيله» حيث نجد ان لوبون ينظر الى شخصية النبي محمد (ص) الى انه شخصية قوية وقائد ومفكر وحاول

توحيد كلمة العرب بمعزل عن نظرتنا الدينية لنينا فهو يرفض القول ان النبي محمد امي وهو يرجع سبب عظمة حضارة العرب الى قيادة النبي محمد وهذا ما بيناه سابقاً وكذلك لا يكتفي لوبون بهذه العوامل فحسب ويذهب الى ذكر عوامل اخرى في عظمة الحضارة العربية حيث وجد هناك عاملان مهمان في ابداع حضارة العرب وهما بيئة حضارة العرب الجديدة وقابليات ذكائهم» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، الصفحات ٥١٥-٥١٧).

وفي الجانب الاخلاقي الذي يتصف به فهو الصفة الاساسية لعامل نجاح حضارتهم حيث يصفه لوبون بقوله «وكانت اخلاق العرب في ادوار الاسلام الاولارقي كثيراً من اخلاق امم الارض قاطبة ولاسيما الامم النصرانية، وكان عدلهم واعتدالهم ورأفتهم وتسامحهم نحو الامم المغلوبة ووفائهم بعهودهم ونبيل طبائعهم مما يستوقف النظر ويناقض سلوك الامم الاخرى ولاسيما الامم الاوروبية ايام الحرب الصليبية» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٣٦٩).

ويختم لوبون سفره القيم، بالفقرة التالية «لقد تم الكتاب، فلنلخص في بضع كلمات، فنقول: انالام التي فاقت العرب تقدماً قليلة الى الغاية واننا لانذكر أمة كالعرب، حققت من المبتكرات العظيمة في وقت قصير مثل ما حققوه، وان العرب اقاموا ديناً من اقوى الاديان التي سادت العالم، اقاموا ديناً لايزال تأثيره اشد حيوية مما لأي دين اخر، وانهم انشؤوا من الناحية السياسية دولة من اعظم الدول التي عرفها التاريخ، وانهم مدنوا اوربا ثقافة واخلاقاً، فالعروق التي سمت سمو العرب وهبطت هبوطهم نادراً، كالعرب، عرق يصلح ليكون مثلاً بارزاً لتأثير العوامل التي تهيم على قيام الدولة وعظمتها وانحطاطها» (شوقي أبو خليل، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، صفحة ٣٥).

ثالثاً: تأثير حضارة العرب في الغرب من منظور لوبون

يذهب لوبون الى ان تأثير العرب في الغرب تأثير عظيم وليس اقل منه في الشرق وان أوروبا مدينة للعرب بحضارتها فأما تأثير العرب على الشرق تأثير قائم على الدين واللغة والفنون واما تأثيرهم الديني على الغرب من وجهة نظر لوبون فإنه صفرأ فأما تأثيرهم العلمي والادبي والخلقي فيه عظيماً وهنا نجد ان الحضارة العربية وسر نجاحها هو انها تحمل وتملك كل مقومات النجاح وانها تملك عقول تبحث عن الحقيقة وان كان الدين العنصر الاساسي فيها ولكن حتى الدين ينظرون اليه كذلك من منظور عقلي ويبرهنون عليه برهان عقلي بالإضافة الى الجانب العاطفي والاخلاقي فتراهم كما ذكر لوبون حيث نجدهم ياثرون بالشرق تأثير ديني لأن الثقافة السائدة لديهم والتي تربو

عليها هي الثقافة الدينية واللغوية والفنية وتأثيرهم في الغرب تأثير ادبي وعلمي واخلاقي لان في الغرب تسود الثقافة العلمية والاخلاقية فأُن حضارة العرب تحمل جميع الصفات والمؤهلات الفكرية والمادية والمعنوية مما يجعل لوبون يصفها بهذه الصفات حيث يقول «نثبت الآن ان تأثير العرب في الغرب عظيم، وان اوربا مدينة للعرب بحضارتها، والحق ان تأثير العرب في الغرب ليس اقل منه في الشرق، ولكن بمعنى اخر فأما تأثيرهم في الشرق فتراه بادياً في امر الدين واللغة والفنون على الخصوص، واما تأثيرهم في الغرب فتراه صغراً، وترى تأثيرهم الفني واللغوي فيه ضعيفاً وترى تأثيرهم العلمي والادبي والخلقي فيه عظيماً» وفي موضع اخر يقول «ولا يمكن ادراك اهمية شأن العرب في الغرب الا بتطور حالة اوربا حينما ادخلوا الحضارة اليها» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٤٨٣).

فأن حال أوروبا قبل دخول الحضارة الاسلامية اليها من منظور لوبون كان ابنائها متوحشين يفتخرون بأنهم لا يقرأون وكانت ثقافتهم محدودة ويذهب لوبون بالقول «ودامت همجية اوربا البالغة زمناً طويلاً من غير ان تشعر بها، ولم يبدأ في أوروبا بعض الميل الى العلم الا في القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر من الميلا، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا ان يرفعوا اكفان الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم» ويذهب لوبونان فضل العرب هو ليس لتزويد أوروبا فقط بالعلمية والثقافة التي يحملها مفكرين وفلاسفة العرب بل لهم الفضل كذلك بحركة الترجمة التي قام بها العرب حيث ترجم اكثر كتب علماء اليونان والفلاسفة. (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٤٨٣)

حيث انتقل التراث اليوناني والفارسي منه على وجه الخصوص الى العالم الاسلامي عن طريقين:

الاول: الاختلاط المباشر الذي تلا عصر الفتوحات مباشرة حيث بدأ الاحتكاك الفكري بين الاسلام كعقيدة وشريعة وفكر وبين ما كان سائد في البلاد المفتوحة من عقائد واءاء وفلسفات مختلفة ومتباينة، من الجهة الاخرى. وقد اتخذ الاحتكاك الفكري في هذا الدور المبكر صورة مجادلات فردية، ومناقشات شفوية بين المسلمين وسائر الامم ممن فتح المسلمون بلادهم.

الثاني: حركة الترجمة حيث تم عن طريقها وقوف المسلمين بصورة أكمل وبطريقة افضل على التراث الاجنبي، وكان من نتائج هذا التلقيح الفكري المنظم المقصود الهادف تطور الفكر الفلسفي في الاسلام ومآله، وظهرت في افقه آراء وفلسفات، ومذاهب لم يكن للمسلمين عهداً بها (عرفان عبد الحميد، ب.ت، الصفحات ٤٧-٤٨).

حيث نجد ان فضل الحضارة العربية ليس مقتصرًا على نقل الثقافة العربية فحسب بل لها الفضل في نقل التراث والثقافة اليونانية وترجمة كتب العالم اليوناني ونقله الى أوروبا من وجهة نظر لوبون حيث يقول: «والحق ان القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليوناني القديم الا من ترجمتها الى لغة اتباع محمد، وبفضل هذه الترجمة اطلعنا على محتويات كتب اليونان التي ضاع اصلها ككتاب ابلونيوس في المخروطات، وشرح جالينوس في الامراض السارية، ورسالة ارسطو في الحجارة وأنه اذا كانت هناك امة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمان القديم فالعرب هم تلك الامة، لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان فعلى العالم ان يعترف للعرب بجميل صنعهم في انقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافاً ابدياً» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٤٨٤).

المقصد الثالث: -اولاً موقف لوبون من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

كان موقف لوبون من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في كتابه «حضارة العرب» موقفاً ايجابياً لا ينتابه السلب فهو يمتدح النبي في كثير من النصوص ويصفه بالصبر والاعتدال وكثير من الصفات التي وجدناه يطلقها على النبي وهذه الصفات تدل على مدى تأثير شخصية النبي بهذا المفكر حيث يقول عن النبي «واذا ما قيست قيمة الرجال بجليل اعمالهم كان محمد من اعظم من عرفهم التاريخ واخذ بعض علماء الغرب ينصفون محمداً مع ان التعصب الديني اعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ١٠٧٢، ٩٩).

وفي موضع اخر يقول لوبون عن النبي «وكان رابط الجأش اذا ما هزم ومعتدلاً اذا ما نصر» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ١٠٦) وهنا نجد انه درس حياة النبي دراسة متمعنة جداً والسبب في هذا أن محمداً هو سر نجاح حضارة العرب حيث يرى «ومهما يكن من امر فأن مما لا ريب فيه ان محمداً اصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الاسلام ومنها اليهود والنصرانية وذلك كان فضل محمد على العرب عظيماً» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ١٠٧).

حيث يستشهد لوبون بالعلامة*بارتلمي سنت هيلر بقوله «قال العلامة بارتلميكان محمد اكثر عرب زمانه ذكاء واشدهم تديناً واعظمهم رأفةً، ونال محمد سلطانه الكبير بفضل تفوقه عليهم، ونعد دينه الذي دعا الناس الى اعتقاده جزيل النعم على الشعوب التي اعتنقته» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، الصفحات ١١٨-١١٩).

وفي حديثه عن النظام السياسي والمدني في الاسلام وتأثير النبي محمد (صلى الله

عليه وسلم) فيه حيث يقول «ولا ريب في ان نفوذ الاسلام السياسي والمدني كان عظيماً الى الغاية، فقد كانت بلاد العرب قبل محمد مؤلفة من امارات مستقلة وقبائل متقاتلة دائماً، فلما ظهر محمد ومضى على ظهوره قرن واحد كانت دولة العرب ممتدة من الهند الى اسبانيا، وكانت الحضارة تسطع بنورها الوهاج في جميع المدن التي خفقت راية النبي فوقها» (عبدالكريم هاشمي نجاد، ب.ت، الصفحات ٧٣-٧٤).

اما النفوذ المعنوي للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) يراه لوبون بقوله «لا يقل الاسلام في التأثير على اتباعه من سائر المذاهب والديانات والاقوام التي نزلت تلك الاحكام لإرشادهم -ومع وجود الاختلاف بينهم -الا انهم متمسكون بالأحكام المستوى من تمسكهم بها قبل الف وثلاثمائة الف عام فصوم شهر رمضان الذي هو اصعب من صيام الاربعين يوماً عند بعض فرق النصارى، نجد المسلمين في العالم يجرونه بمنتهى الدقة، وهكذا الصلاة في جميع البلدان التي زرتها في اسيا وافريقيا وأماكن أخرى من العالم، خاصة انني رأيت اهتمامهم بأداء هذا الركن الاسلامي العظيم في وقته».

وفي موضع اخر يستعين لوبون في جولاته عن بعض الامثلة التي اندهش بها حيث يقول «وفي احدى المرات كنت مسافراً بالركب في نهر النيل وكان معنا مجموعة من العرب، وفيهم بعض المدنيين المقيدون بالسلاسل، فعجبت كثيراً حيث رأيت المدنيين لا يجروؤن على مخالفة القانون الديني (الشريعة) فكان اذا صار وقت الصلاة أخرجوا قيودهم ووضعوها جانباً، انشغلوا بأداء الصلاة والركوع والسجود لله القهار» (شوقي أبو خليل، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، صفحة ١٧٨).

ان ما ينسب الى المفكر لوبون من اتهامات من هنا وهناك وما يذهب اليه بعض الباحثين وباعتمادهم على بعض النصوص لغوستاف لوبون ويصبون لوائح الاتهام عليه حيث يذهب شوقي ابو خليل وهو من ابرز الباحثين في فلسفة لوبون الى اعتبار تلك النصوص هي هفوات واخطاء لوبون حيث يقول «حضارة العرب لاشك فريد في نوعه، وكتبه محب للعرب وحضارتهم، الا ان الاخطاء والهفوات والمطاعن فيه كثيرة، فمع حسن نية لوبون، نلمس انه لم يرهق نفسه ليحيط بدقائق الحقيقة الانسانية، فجاءت معظم هفواته واخطائه في هذا المجال، فهو لم يتصور او يدرك ظاهرة الوحي، أو ادراكها، لكنه لم يقر بها لمحمد بن عبد الله، ولم يستوعب بعض الامور المتعلقة بالنبوة والقرآن والشريعة.

وفي موضع اخر نجد شوقي ابو خليل يمدحه حيث يقول «ان مفتاح شخصية الرجل عدم اخذه بدراسات الاستشراق الظالمة، مع كرهه لليهود، فتنحرف من تأثير احكامهم ووجهات نظرهم حول تاريخنا وحضارتنا، فجاءت آراؤه منصفة عادلة بشكل عام، وعندما

اخطأوأكبأ، ما اخطأ عن تعصب او حقد، وما كبأ عن سوء قصد(رياض سالم عواد، ب.ت، صفحة ٢١٥).

ونجد باحثين آخرين ومنهم الذي اعتنى ايضاً بدراسة غوستاف لوبون رياض سالم عواد في كتابه «الحركة الأستشراقية ومنهج التضليل» حيث يرى ان غوستاف لوبون معتدياً ومضللاً حيث يقول «وهذا غوستاف لوبون يظهر على حقيقته كمستشرق معتدي حاقده سعى بكل ما يمتلك من جهد ليدرس تاريخ ديننا الاسلامي وسيرة رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ثم يقوم بأثارة الشبهات بصدها»(غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٢٩).

ومن الاتهامات التي يوجهها الباحثين لغوستاف لوبون هو وصفه لوبون للنبي محمد (ص) بالهوس وان لوبون بريء من هذه التهمة لاسباب عدة منها ان الباحثين لم يتابعوا كتاب حضارة العرب بتمعن ففاتهم نص لوبون الذي يبرئ لوبون من تهمهم وهو يقول «ويجب احترام أعظم مؤسسي الأديان والدول، وان وصفهم العلم الحديث بذوي الهوس، وحق لهم ذلك، ففيهم تتجلى روح الزمن وعبقريه القوم، وبلسانهم تنطق اجيال من الاجداد راقده في ثنايا العصور، والخيالات، وان كانت كل ما يأتي به هؤلاء المبدعون مثلاً عالية، هي التي اوجدت كياننا الحاضر ولا تقوم بغيرها حضارة»(غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ١٠٦).

وهنا نجد ان لوبون لم يصف النبي محمد (ص) بالهوس في هذا النص بل انه يحاول ان يستبعد النبي من وصف العلم له ويدافع عن شخصيه النبي(ص) حتى في النص الاخر الذي يتهمون لوبون فيه بالتضليل والاعتداء على شخصيه النبي (ص) وهذا الاتهام ناتج كذلك عن عدم فهم ما قبل النص وما بعده وكذلك الترجمة حيث من خلال تحليل الكلام وتنسيق المفردات ودلالة النص الذي ذكرناه يتضح ان لوبون لم يصف النبي محمد(ص) بالهوس ومع اعتراضه على كلمه «ويجب» التي يبدأ بها لوبون كلامه عن النبي (ص) حيث يقول «ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية، كما هو واضح، وذلك كأكثر مؤسسي الاديان، ولا كبير اهميه لذلك» وهذا النص هو الذي كان محل تشكيك بعض الباحثين للوبون وهنا ابرئه لوبون من تشكيكهم لأمرين مهمين اولهم: -اجد ان لوبون لا يبدأ النص بكلمه «ويجب» بل يبدأها بكلمه «وعد» ذلك لان لوبون بين في بداية كتابه حضارة العرب بان العلم هو الذي يصف اعظم مؤسسي الاديان بالهوس وليس لوبون بل ان اعدنا صياغه النص بالصيغة التالية المتناسقة سيتضح ان انه بريء من تهمه اغلب الباحثين فنقول «وعد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية،

كما هو واضح، وذلك كأكثر مؤسسي الأديان، ولا كبيراهميه لذلك، فأولو الهوس وحدهم، لا ذو المزاج البارد من المفكرين، هم الذين ينشؤون الديانات، ويقودون الناس، «فهنا نجد ان لوبون ينهي الجدل بقوله «لا كبير اهميه لذلك» بمعنى اخر ان لوبون وان اعطى الحق للعلم بوصف مؤسسي الأديان بالهوس ولكن هذا عنده لوبون غير ذي اهمية فان ذوي الهوس الذي يصفهم العلم هم الذين يقودون الناس وقادوا البشر (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٣٧٠).

اما الامر الاخر: -خير وسيلة لبرائة لوبون من تلك التهم هو دفاعه عن القرآن وعن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ضد من ينتقصهم ففي كتاب حضارة العرب يقر لوبون «بفساد الرأي الاوربي القائل ان دين محمد هو ورأي فاسد مثل هذا مصدره ما سبب ما يشاهد في بعض امم الشرق من الانحطاط» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ١٠٨).

ثانياً: -موقف لوبون من القرآن الكريم

يذهب لوبون الى ان القرآن الكريم هو مصدر قوة الحضارة العربية الإسلامية وهو دستورهم الديني والسياسي ومع ان لوبون يراه خالي من الترتيب ولكنه يعترف لوبون بأن القرآن منزل من وحي من الله على النبي محمد حيث يقول «والقرآن هو كتاب المسلمين المقدس، ودستورهم الديني والمدني والسياسي الناظم لسيرهم، وهذا الكتاب المقدس قليل الارتباط مع انه انزل وحياً من الله على محمد، واسلوب هذا الكتاب، كان جديراً بالذكر احياناً، خالاً من الترتيب فاقد السياق كثيراً، ويسهل تفسير هذا عند النظر الى كيفية تأليفه، فهو قد كتب تبعاً لمقتضيات الزمن بالحقيقة، فاذا ما اعترضت محمداً معضلة أتاه جبريل بوحي جديد حلاً لها، ومن دون ذلك في القرآن» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، الصفحات ١٠٩-١١٦).

حيث نجد ان بعض الباحثين يتهم غوستاف لوبون بأنه يعد القرآن الكريم مكتوباً وليس منزلاً وهذه التهمة بريء منها لأنه يرى ان القرآن الكريم غير مرتب وبعد وفاة النبي تألف حيث جمعت الآيات وتألف القرآن الكريم حيث يقول «وانني أنقل بضع آيات في كل موضوع مهم، وارتب ما نقلته من آيات على حسب الموضوعات نظراً الى ان ما ورد من الآيات في الموضوع الواحد مبعثر فيه اتفاقاً» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ١١٨).

ويرى لوبون بقوله «ولم اجد في القرآن مما يعاب به الشرقيون، وما يمكن ان

يعاب به كذلك، كثير من العلماء المعاصرين»

وكذلك يذهب بعض الباحثين الى القول بأن لوبون قد أخطأ عندما عد الاسلام صورة من النصرانية واجد ان غوستاف لا يعني ان القرآن نسخة من النصرانية او انه مستنسخ كما ذهب البعض حول اتهامه بهذا بل هو يرى ان القرآن هو مكمل للأديان حسب رأيه وذلك بقوله «اذا رجعنا القرآن الى عقائده الرئيسية امكننا عد الاسلام صورة مبسطة عن النصرانية، ومع ذلك فأن الاسلام يختلف عن النصرانية في كثير من الاصول، ولا سيما في التوحيد المطلق الذي هو اصل اساسي، وذلك انا لآله الواحد، الذي دعا اليها الاسلام، مهيمن على كل شيء، ولا تحف به الملائكة والقديسون وغيرهم ممن يفرض تقديسهم، وللإسلام وحده ان يباهي بأنه اول دين ادخل التوحيد الى العالم» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ١١٨).

ويذهب لوبون الى بيان سر قوة الاسلامواختلافه عن النصرانية والديانات الاخرى حيث يقول «وتشتق سهولة الاسلام العظيمة من التوحيد المحض، وفي هذه السهولة سر قوة الاسلام، والاسلاموادراكه سهل، خال مما نراه في الاديانالاخرى، ويأباه الذوق السليم، خالياً من التناقضات والغوامض، ولا شيء اكثر وضوحاً واقل غموضاً من اصولالاسلام القائلة بوجود اله واحد، ومساواة جميع الناس امام الله، و ببضعة فروض يدخل الجنة من يقوم بها»

وهنا نجد ان سر انتشار الاسلام من وجهة نظر لوبون هو سهولته ووضوحه حيث يقول لوبون «وانك اذا ما اجتمعت بأي مسلم من اية طبقة، رأيته يعرف ما يجب عليه ان يعتقد، ويسرد لك اصولالاسلام في بضع كلمات بسهولة، وهو بذلك على عكس النصراني الذي لا يستطيع حديثاً عن التثليث والاستحالة وما مائلهما من الغوامض من غير ان يكون من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدل» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، الصفحات ١١٤-١١٥).

وهنا نجد من باب الانصافان غوستاف لوبون دافع عن الاسلام وعن القرآن الكريم ضد من يشكك بهم وان كانت هناك بعض المواقف المأخوذة عليه فنحن نعدّها بأنها نوايا سليمة من قبله ليس لها قصد وان قام البعض بتشخيصها ولكن اجد من خلال النصوص التي طرحتها ان غوستاف لوبون تأثر تأثيراً كبير بالإسلام وبالقرآن خصوصاً وحاول ترتيب بعض النصوص القرآنية ترتيب يتناسب مع الموضوعات التي تناولها حيث نجد انلوبون يتمعن بسماع القرآن الكريم وهذا ما وجدته في كتاب «حضارة العرب» حيث اجدّه متأثراً بكثير من الآيات القرآنية ويذكرها في هذا الكتاب حيث يتحدث لوبون عن

النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ويسند رأيه بآيات من القرآن الكريم فيقول «وكان محمد كثير المسامحة لليهود والنصارى خلافاً لما يظنون، لا للملحدين، ولا للمشركين الذين يوصي بمقاتلتهم».

حيث يسند رأيه بآيات قرآنية ويذكر في كتابه جملة من الآيات منها قوله تعالى «لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» (صدق الله العظيم) وكثير من الآيات حيث يذكر لوبون تسع آيات تسند رأيه ويذكر قوله تعالى «واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً» صدق الله العظيم حيث يقوم لوبون بالاستشهاد بآيات من القرآن الكريم في كل موضوع تناوله حول الإسلام.

ويرى لوبونان فلسفة القرآن قائمة على التوحيد والوضوح والعدل والاحسان والمساعدة وهي سر قوة الاسلام وانتشاره حيث يقول «وتشتق سهولة الاسلام من التوحيد المحض، وساعد وضوح الاسلام البالغ، وما امر به من العدل والاحسان كل المساعدة على انتشاره في العالم».

ويذهب لوبون الى ان تأثير القرآن كان تأثيراً عقائدياً مهماً فيرى «ويجب على من يرغب في الحكم بفائدة كتاب ديني ان لا ينظر الى قواعده الفلسفية الضعيفة على العموم، بل الى مدى تأثير عقائده والاسلاماذا ما نظر اليه من هذه الناحية وجد من اشد الاديان تأثيراً في الناس، وهو مع مماثلته لأكثر الأديان في الأمر بالعدل والإحسان.

وينتهي لوبون الى القول «وقضى اعداء الاسلام من المؤرخين العجب من سرعة انتشار القرآن العظيمة فعزوها الى ما زعموه من تحلل محمد وبطشه، ويسهل علينا ان نثبت ان هذه المزاعم لا تقوم على اساس، فنقول ان من يقرأ القرآن يجد فيه ما في الاديان الاخرى من الصرامة، وان ما اباحه القرآن من تعدد الزوجات لم يكن غريباً على الشعوب المسلمة التي عرفت قبل ظهور محمد» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، الصفحات ١١٨-١١٩).

ثالثاً: -رد غوستاف لوبون على انتقادات ارنست رينان للحضارة العربية

ارنست رينان (١٨٢٣-١٨٩٢) فيلسوف ومؤرخ فرنسي، اهتم كثيراً بتاريخ الاديان واللغات والاجناس، واشتهر بدفاعه عن العقل والعلم والعقلانية، كما عرف عند الباحثين بتحيزه للحضارة الغربية الاوربية، وتقليله من شأن حضارة الاسلام والمسلمين والعرب، وبدأ هذا التحيز واضح في اغلب مؤلفاته ومقالاته ومحاضراته، ولعل اشهر المحاضرات التي القاها في السوربون بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٨٨٣ م عنوانها «الاسلام والعلم» ونشرت

في «journaldesdebats» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٣٤٨)

حيث اشتهر في مصر خصوصاً بتأثير ردود الشيخ الامام محمد عبدة عليه حول آراءه الفلسفية التي طرحها عن الاسلام والفكر الفلسفي بعامة عند العرب والمسلمين، ونشرت بعضها مجلة «الجامعة» التي كان يصدرها في مصر فرح أنطون، وقد ذكر فيها رينان: ان حال الجمود الذي عليه المسلمين لا يتأتى لهم الا بسبب طبيعة ديانتهم الإسلامية، الامر الذي يظهرهم بمظهر التعصب ضد الاديان الاخرى، وينبئ عن ان الدين الاسلامي سينتهي لا محالة، فالأديان عموماً ليست الوسيلة للتمدن وانما وسيلة التمدن العلم، ومع ذلك فالتمدن ليس ضد الأديان بالكلية، وانما هو يعارض التعصب الذي قمارسه غالباً، وعلى الاديان، انارادتان تعيش، ان تسالم وتلين، والا كان موتها ضربة لازب» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٣٤٤).

وقد رد عليه محمد عبدة وجمال الدين الافغاني وكثيرين ولكن ما يهمني هو رد الفيلسوف المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون حيث وجه لوبون نقداً لاذعاً وبين مواضع التناقض لدى رينان مع نفسه حيث يرى لوبون «حينما تلتقي المبتسرات الموروثة والثقافة في العالم الفاضل ولا يدري على ايهما يعتمد في وزن الامور يتجلى فيهما يحتاج في شخص واحد من الذاتية القديمة التي هي وليدة الماضي، والذاتية العصرية التي هي وليدة المشاهدة الشخصية فيصدر عنه من الآراء المتناقضة ما يستوقف النظر، ومن ذلك التناقض المثل البارز الذي يجده القارئ في الخطبة التي القاها الكاتب اللبق، والعالم الفاضل مسيورينان في السوربون عن الاسلام والتي اراد مسيو رينان ان يثبت عجز العرب، ولكن ترهاته كانت تناقض بما كان يجيئ في الصفحة التي تليها، فبعد انان قال رينان مثلاً: ان تقدم العلوم مدين للعرب وحدهم مدة ستمائة سنة، وذكر ان عدم التسامح مما لم يعرفه الاسلاما بعد ان حلت محل العرب شعوب متأخرة كالبربر والترك، عاد فأدعى ان الاسلام اضهد العلم والفلسفة، وقضى على العقل في البلاد التي دانت له (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٣٤٥).

بيد ان ناقداً بصيراً كمسيو رينان لا يستطيع ان ينام مدة طويلة على مثل ذلك الزعم المناقض لأوضح ما رواه التاريخ، فذهبت عنه مبتسراته الموروثة ثانية، ورجع يعترف بتأثير العرب في القرون الوسطى، ويشهد بتقدم العلوم في بلاد الاندلسايم سلطانهمورينان قد طرح سؤالاً صار مألوفاً طرحه من المستشرقين حول مصداقية وجود فلسفة اسلامية، فالمسلمون عنده لم يفعلوا سوى ان نقلوا الفلسفة اليونانية وصبغوها بصبغتهم ويربط ذلك بفكرته عن السامية «الفلسفة لم تكن ابداً عند الساميين غير علم استعاروه من

الخارج تماماً ودون ان يضيفوا اليها اضافة كبيرة، وكانوا مقلدين للفلسفة اليونانية» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٣٤٧).

ومن دواعي الاسفان تغلب على مسيو رينان مبتسراته غير الشاعرة بعد ذلك سريعاً، فصار يزعم ان علماء العرب ليسوا عرباً؛ «بل من ابناء سمر قند وقرطبة واشبيلية» مع ان الواقع ان تلك البلاد مما ملكه العرب، وان الدم العربي مما جرى في عروق ابنائها، وان علوم العرب مما كان لها نصيب منه زمناً طويلاً، وانه ابيح لاحد ان يجادل في الاثار التي صدرت عن مدارس العرب، كان ذلك من قبيل اباحته لنفسه ان يجادل في مؤلفات علماء فرنسية بحجة انهم من الشعوب الكثيرة التي تألف من مجموعها الشعب الفرنسي كالنورمان، والسلت و الاكيتان».

وهنا نجد ان لوبون يستدرج مسيو رينان وينقل اهم النصوص التي تبين ان رينان كان يناقض نفسه حيث يقول لوبون «ثم يظهر الكاتب الفاضل مسيو رينان اسيفاً على سوء رأيه في العرب، ويصل الى النتيجة غير المنتظرة الاتية التي تتم، كذلك على ما بين ذاتية الانسان القديمة وذاتيته العصرية من التنازع، ويأسف على انه ليس من اتباع النبي، فيقول «انني لم ادخل مسجداً من غير ان اهتز خاشعاً، اي من غير ان اشعر بشيء من الحسرة على انني لست مسلماً» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٣٤٧).

وينهي لوبون رده لمسيو رينان بقوله «انه كان للحضارة الاسلامية تأثير عظيم في العالم، وان هذا التأثير خاص بالعرب وحدهم فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة والتي اعتنقت دينهم، وان العرب هذبوا البربر الذين قضوا على دولة الرومان بتأثيرهم الخلفي، وان العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والادبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافي، وكانوا ممدنين لنا، وأئمة لنا ستة قرون» (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٣٤٧).

وهنا ننتهي الى المقولة المشهورة للوبون بأن العرب هم الذين مدنوا أوروبا وهي رد على كل مزاعم المفكرين الاوربيين الذين ينتقدون الحضارة العربية ورد غوستاف لوبون من اهم الردود التي انصف بها العرب لكونه يستند على علمية رصينة وبين فيه تناقضات رينان وارهائه المتناقضة حول العرب (غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٠١٨، صفحة ٣٤٩).

ان فضل العرب على الغرب ليس فقط بتزويدهم بالعلم والثقافة والادب والفنون وغيرها من مقومات الحضارة بل لهم الفضل كذلك بنقل ثقافته وعلوم اليونان عن طريق حركة لترجمة التي قام بها العرب حيث ترجم اكثر كتب علماء اليونان وثقافتهم حيث يقول لوبون «والحق ان القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليوناني القديم الا من ترجمتها الى لغة اتباع محمد، وبفضل هذه الترجمة أطلعنا على محتويات كتب اليونان التي ضاع صيتها»

ان من اهم النتائج والاستنتاجات المهمة ومن باب أنصاف غوستاف لوبون وخصوصاً موقفه من النبي محمد (صلى) حيث يذهب بعض الباحثين الى توجيه سهام نقدهم الى لوبون وتذرعين ذلك الى قول لوبون عن النبي محمد (صلى) ووصفه حسب اعتبارهم «من فضيله المتهوسين» ولوبون بريء من هذه التهمة لسببين:

أولاً- ان لوبون يدافع عن النبي محمد (صلى) من وصف العلم لهم حيث يقول «ويجب احترام أعظم مؤسسي الاديان والدول وان وصفهم العلم الحديث بذوي الهوس «وهنا ومن خلال هذا النص الذي هو في بدايه كتاب «حضارة العرب» الذي غاب عن الكثير من منتقدي لوبون يتبين ان وصف اعظم مؤسسي الاديان بذوي الهوس هو ليس وصف لوبون بل هو وصف العلم الحديث وهنا يخرج لوبون من دائرة الاتهام.

ثانياً- ان استناد المنتقدين والمشككين لنص لوبون الذي يقول فيه «ويجب عد محمد من فضيله المتهوسين، من الناحية العلمية كما واضح، وذلك كأكثر مؤسسي الديانات، ولا كبير اهميه لذلك» والذي ترجمه عادل زعيتر وخصوصاً في هذا النص فانا اجد ان الترجمة غير دقيقه ولا يوجد فيها ترابط خصوصاً في كلمة (ويجب) فأنا لو حللنا النص بتمعن سنجد ان غوستاف لوبون لا يبدأ الكلام ب (ويجب) بل يبدأ ب (وعد محمد من فضيله المتهوسين، من الناحية العلمية كما واضح، وذلك كأكثر مؤسسي الديانات، ولا كبير اهميه لذلك «وهنا عندما يقول هو «ولا كبير اهميه لذلك «ينهي كل الجدل والاتهامات عليه وسبق ان لوبون بين في النص اعلاه موقف العلم منهم وليس موقفه حيث ان موقفه واضح وصريح وخصوصاً بنينا محمد (صلى).

لم يكتف غوستاف لوبون بمدح الحضارة العربية فحسب بل دافع عنها ضد من انتقدها حيث رد على انتقادات آرنست رينان للعرب حيث قام لوبون باستدراج آراء آرنست رينان المتناقضة وبينها ورد عليها في كتابه «حضارة العرب»

قائمة المصادر والمراجع

١. www.alarab.com (١١٩، ٢٠١٤م). غوستاف لوبون المستشرق الذي انصف العرب. صحيفة العرب.
٢. رياض سالم عواد. (ب.ت). الحركة الاستشراقية ومنهج التضييل (المجلد ب.ط).
٣. شوقي أبو خليل. (١٤١٠هـ-١٩٩٠م). في الميزان غوستاف لوبون (المجلد الاول). دمشق: دار الفكر.
٤. عبدالعزيز عبدالمطلب السيد. (٢٠١٤). أثر الحضارة الإسلامية على الشرق والغرب، غوستاف لوبون نموذجاً (المجلد الاول). دسوق: دار العلم والايمان للنشر والتوزيع.
٥. عبدالكريم هاشمي نجاد. (ب.ت). رحلتي من الظلمات الى النور (المجلد الاول). (علاء رضائي، المترجمون) مؤسسة المعارف الاسلامية، مطبعة اسلام.
٦. عرفان عبد الحميد. (ب.ت). الفلسفة الاسلامية دراسة ونقد (المجلد ب.ط). مؤسسة الرسالة.
٧. غوستاف لوبون. (٢٠١٨). حضارة العرب (المجلد ب.ط). (عادل زعيتر، المترجمون) عصير الكتب للنشر والتوزيع.
٨. غوستاف لوبون. (٢٠٢٠). مقدمة الحضارات الأولى (المجلد الثانية). (محمد صادق رستم، المترجمون) بيروت، لبنان: الرافدين للنشر والتوزيع.
٩. غوستاف لوبون. (٢٠٢٠م). روح السياسة (المجلد الاول). (عادل زعيتر، المترجمون) بيروت، لبنان : الرافدين للطباعة والنشر.
١٠. فايز بن علي الشهري. (٢٠١٩). غوستاف لوبون (المجلد الاول). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي للكتاب.
١١. نهاد عباس زينل. (١٩٧١). الأنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا القرون الوسطى (المجلد ب.ط). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

PHILOSOPHY

AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL
COLLEGE OF ARTS
AL MUSTANSIRYAH UNIVERSITY

6/2022

No.25

